حتى يعتلي به المراتب الأولى وظهور القرآن ومدى تأثرهم ببلاغته واختلاط العرب بغيرهم وظهور العجم والاعوجاج في الألسنة وتغير اللغات أو دخول لهجات عنها كل هذه العوامل أدت بالبلاغيين إلى الاهتمام بها والتركيز على أبوابها وإعلائها إلى مراتب العلوم فأصبحت علما قائما بذاته تضم ثلاثة أنواع وهي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وسوف نحاول التطرق إلى كل نوع على حدى .

علم المعاني :

هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهو الطريق الذي يجب أن يسلكه الأديب للوصول إلى هذه الغاية وفيه نحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد فنعرف السبب الذي يدعو إلى الإيجاز، والإطناب، والفصل والوصل، وأول من دون قواعد هذا العلم عبد القاهر الجرجاني حيث هذب مسائله وأوضح قواعده وقد وضع فيه بعض الأدباء والنقاد قبله نتفا كالجاحظ وأبي هلال العسكري إلا أنهم لم يصلوا إلى مثل ما وصل إليه الجرجاني.

وفائدته الوقوف على معرفة أسرار الإعجاز القرآني من براعة التركيب وحسن السبك والإيجاز وجزالة الكلمات والوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه. (65)

ولتسهيل دراسة مباحث هذا العلم قسمه العلماء إلى ثمانية مباحث هي :

الخبر:

هو قول يحتمل الصدق والكذب والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع،فلو قال قائل حضر الزائر الذي ننتظر فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب فإذا خرجنا من البيت وتأكدنا من حضور الزائر فالخبر صادق وإن لم نر الزائر فالخبر كاذب.

الغرض من إلقائه :

يقصد المخاطب في خبره للمخاطب أحد أمرين :

1-إعلام المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية حين يكون جاهلا به ويسمى هذا النوع فائدة الخبر لأنه المقصود بالخبر والمستفاد منه نحو الدين المعاملة لمن يجهل هذا الأمر.

2-إعلام المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تتضمنه الجملة حيث يكون المخاطب عالما بالحكم ولكنه يجهل أن المتكلم يعلمه أيضا ويسمى هذا النوع لازم الفائدة لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به ومثال ذلك قولك لمن حفظ المعلقات السبع قد حفظت المعلقات السبع وأنت هنا تقصد إفادة المخاطب أنك عالم بالحكم وهو حفظه للمعلقات السبع،وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن ومن سياق الكلام منها :[66]

- الاسترحام والاستعطاف من مثل قول يحي البرمكي يخاطب الخليفة هارون الرشيد :

إن البرامكة الذين رموا لديك بداهيه

صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية

- إظهار الضعف كقوله تعالى من مثل قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام :"رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ".

- إظهار التحسر والأسف من مثل قول أحد الأعراب يرثي ولده :

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعا ولم يجب الصبر

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر.

-الفخر مثل قول عمرو بن كلثوم :

وإذا بلغ الفطام لنا رضيع يخر له الجبابرة ساجدينا

-الإرشاد والنصح مثل ما كتب به طاهر بن الحسين إلى العباس بن موسى الهادي وقد استبطأه في خراج ناحيته:

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على وجل

- الأمر .....والوالدات يرضعن / والمطلقات يتربصن.

- النهي.... لا يمسه إلا المطهرون .

- الدعاء.... إياك نستعين / تبت يدا أبي لهب وتب/ قاتلهم الله

- المدح مثل قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا برزت لم يبد منهن كوكب

- التحذير نحو قول الرسول ص ابغض الحلال إلى الله الطلاق[67].

أما بالنسبة إلى **أنواع الخبر**؛ فنجد هناك ثلاثة أضرب وهي :

1-**الخبر الابتدائي** :

إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم في مضمون الخبر فعندئذ يلقي المتكلم عليه الخبر دون تأكيد ومثال ذلك ابن هانئ الأندلسي:

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأشجار وأنهار

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت اختار

2- **الخبر الطلبي**:

إذا كان المخاطب مترددا في الحكم المقصود فعندئذ يقلي إليه الخبر مؤكدا بإحدى أدوات التوكيد (أن،لا، م الابتداء) أحرف التنبيه (ألا، أما، ها) أحرف القسم (الواو، الباء، التاء)نون التوكيد الثقيلة ،نون التوكيد الخفيفة، الحروف الزائدة (إنْ أنْ ما ،لا،من ،الباء) وقد سمي طلبيا لأن المخاطب به متردد في تصديق مضمونه وطالب بلسان حاله معرفة حقيقته ومن أمثلة ذلك

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا متبسما عن باطن متجهم

فالمؤكد بمن.

3- الخبر الإنكاري :

إذا كان المخاطب منكرا للحكم الذي أطلقه المتكلم معتقدا خلافه فحينئذ يجب على المتكلم تأكيد الخبر للمخاطب بمؤكد أو بمؤكدين أو أكثر حسب درجة إنكار المخاطب للحكم قوة وضعفا ومثال ذلك قوله تعالى:قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون" [68].

4-خروج الخبر عن مقتضى الحال :

يقول القدامى كثيرا ما يحل المحيط بفائدة الجملة الخبرية علما محل خالي الذهن لاعتبارات بلاغية مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة وإن شئت فعليك بكلام لرب العزة.

- " ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"كيف تجد صوّر أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعلموا بعلمهم ونظيره في النفي والإثبات : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.

- وهكذا قد يقيمون من لا يكون سائلا مقام من يسال فلا يميزون في صياغة التركيب للكلام بينهما وإنما يصبون لهما التعبير الأدبي عنها في قالب واحد إذا كانوا قدموا إليه ما يلوح مثله للنفس اليقظى بحكم ذلك الخبر فيتركها مستشرفة له استشراف الطالب المتحير فيميل بين إقدام للتلويح وإحجام لعدم التصريح فيخرجون الجملة إليه مصدره بأنّ ويرون سلوك هذا الأسلوب في أمثال هذه المقامات من كمال البلاغة .

-كذلك قد ينزلون منزلة المنكر من لا يكون إياه إذا رأوا عليه من ملابس الإنكار فيحوكون حبير الكلام لهما على منوال واحد ومن هذا الأسلوب قوله :

جاء شقيق عارضا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

-ويقبلون هذه القضية مع المنكر إذا كان معه إذا تأمله ارتدع عن الإنكار فيقولون لمنكر الإسلام (الإسلام حق) وقوله عز وجل في حق القرآن (لا ريب فيه) [69].

الإنشاء :

في اللغة يعني : الإيجاد والإحداث .

-وفي الاصطلاح ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقا ولا كذبا وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به، و الإنشاء قسمان هما :

الإنشاء الطلبي :

هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وأنواعه: التمني ،والاستفهام والأمر، والنهي ، والنداء.

الإنشاء غير الطلبي:

هو مالا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ويضم مجموعة من الصيغ منها أفعال المدح والذم ويكونان بنعم و بئس وما جرى مجراهما نحو حبذا ولا حبذا والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم وأفعال العقود وحروف القسم وصيغتا التعجب وأفعال الرجاء وكم الخبرية وربّ.

وللتفريق بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي يلاحظ أن وجود معنى الجملة في الإنشاء الطلبي يتأخر عن وجود لفظه على عكس الإنشاء غير الطلبي؛ إذ يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه[70].